وثمود أمة عظيمة من العرب البائدة وهم أبناء ثمود بن جاثر " بجيم ومثلثة كما في القاموس " ابن إرم بن سام بن نوح فيلتقون مع عاد في " إرم " وكانت مساكنهم بالحجر " بكسر الحاء وسكون الجيم " بين الحجاز والشام وهو المكان المسمى الآن مدائن صالح وسمي في حديث غزوة تبوك : حجر ثمود .

وصالح هو ابن عبيل " بلام في آخره وبفتح العين " ابن آسف بن ماشج أو شالخ بن عبيل بن جاثر " ويقال كاثر " ابن ثمود . وفي بعض هذه الأسماء اختلاف في حروفها في كتب التاريخ وغيرها أحسبه من التحريف وهي غير مضبوطة سوى عبيل فإنه مضبوط في سميه الذي هو جد قبيلة كما في القاموس .

وثمود هنا ممنوع من الصرف لأن المراد به القبيلة لا جدها . وأسماء القبائل ممنوعة من الصرف على اعتبار التأنيث مع العلمية وهو الغالب في القرآن وقد ورد في بعض آيات القرآن مصروفا كما في قوله تعالى : (ألا إن ثمودا كفروا ربهم) على اعتبار الحي فينتفي موجب منع الصرف لأن الاسم عربي .

وقوله : (ما لكم من إله غيره) يدل على أن ثمود كانوا مشركين وقد صرح بذلك في آيات سورة هود وغيرها . والظاهر أنهم عبدوا الأصنام التي عبدتها عاد لأن ثمود وعادا أبناء نسب واحد فيشبه أن تكون عقائدهم متماثلة . وقد قال المفسرون : أن ثمود قامت بعد عاد فنمت وعظمت واتسعت حضارتها وكانوا موحدين ولعلهم اتعظوا بما حل بعاد ثم طالت مدتهم ونعم عيشهم فعتوا ونسوا نعمة ا وعبدوا الأصنام فأرسل ا إليهم صالحا رسول يدعوهم إلى التوحيد فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون وعصاه سادتهم وكبراؤهم وذكر في آية سورة هود أن قومه لم يغلظوا له القول كما أغلظت قوم نوح وقوم هود لرسولهم فقد : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) . وتدل آيات القرآن وما فسرت به من القصص على أن صالحا أجلهم مدة للتأمل وجعل الناقة لهم آية وأنهم تاركوها ولم يهيجوها زمنا طويلا .

فقد أشعرت مجادلتهم صالحا في أمر الدين على أن التعقل في المجادلة أخذ يدب في نفوس البشر وأن علواءهم في المكابرة أخذت نقصر ؛ وأن قناة بأسهم ابتدأت تلين للفرق الواضح بين جواب قوم نوح وقوم هود وبين جواب قوم صالح . ومن أجل ذلك أمهلهم ا ومادهم لينظروا ويفكروا فيما يدعوهم إليه نبيهم وليزنوا أمرهم وجعل لهم الانكفاف عن مس الناقة بسوء علامة على امتداد الإمهال لأن إنكفافهم ذلك علامة على أن نفوسهم لم تحنق على رسولهم فرجاؤه

إيمانهم مستمر والإمهال لهم أقطع لعذرهم وأنهض بالحجة عليهم فلذلك أخر ا العذاب عنهم إكراما لنبيهم الحريص على إيمانهم بقدر الطاقة كما قال تعالى لنوح : (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) .

وجملة : (قد جاءتكم بينة من ربكم) إلخ هي من مقول صالح في وقت غير الوقت الذي ابتدأ فيه بالدعوة لأنه قد طوي هنا جواب قومه وسؤالهم إياه آية كما دلت عليه آيات سورة هود وسورة الشعراء ففي سورة هود : (قال يا قوم اعبدوا ا ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) الآية وفي سورة الشعراء : (قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بأية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب) الآية .

فجملة : (قد جاءتكم بينة من ربكم) تعليل لجملة : (اعبدوا ا) أي اعبدوه وحده لأنه جعل لكم آية على تصديقي فيما بلغت لكم وعلى انفراده بالتصرف في المخلوقات .

وقوله : (هذه ناقة ا) يقتضي أن الناقة كانت حاضرة عند قوله : (قد جاءتكم بينة من ربكم) لأنها نفس الآية .

والبينة : الحجة على صدق الدذعوى فهي ترادف الآية وقد عبر بها عن الآية في قوله تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) .

و (هذه) إشارة إلى الناقة التي جعلها ا آية لصدق صالح ولما كانت الناقة هي البينة كانت جملة : (هذه ناقة ا لكم آية) منزلة من التي قبلها منزلة عطف البيان .

A E